سينما

دعم مهرجانات السينما المغربية 2021

المراكز مُتوجّسة والهوامش منفيّة

أثار بلاغٌ لـ«المركز السينمائي المغربي» لدعم المهرجانات السينمائية في المغرب لعام 2021، نقاشاً نقدياً كشف سوء إدارة وصفقات تمويل.

الرباط ـ **أشرف الحساني**

تعيش المهرجانات السينمائية المغربيّة، هذه الأيام، تناقضاً قويّاً، رغم انتعاش لا مثيل له: برامج مُعطّلة. مهرجانات افتراضية مُرتبكة. توقيع كتب روائية، بدلاً من أنْ تكون سينمائية. اقتصار لجان التحكيم على أعضاء المهرجان وعائلاتهم بحجّة التخصّص والنقد والمعرفة. عرض أفلام قديمة، معروضة سابقاً في مهرجانات مغربية وعربية، من دون أنْ تُحدث أيّ تأثير، فاللجوء إلى هذه الفيلموغرافيا القديمة، لا علاقة له بأهميّة الفيلم، وبما تُضمره اشتغالاته من قيم فنية وجمالية، بقدر ما هو عامل يُغذّي برامج المهرجانات، ليكون الدافعُ إلى تنظيم مهرجانٍ ما قويّاً، يستند إلى أدبيّات الوثائق الإداريّة الرسمية.

تحايلٌ سينمائي يُمرَّر قانونياً، من دون تحذير من الصحافة والنقد، المُشاركَين في اللعبة المهزلة، وفي مرّات كثيرة يُصبح الناقد السينمائي، رغم حضوره، كأنْ لا علاقة له بما يحدث في المهرجان. لجان مؤلّفة من عاملين في مجالات أخرى خارج السينما، والواقع المغربي لا يشهد لهم بأي عشق سينيفيلي، أو مقالة نقدية، أو تفكير سينمائي. مع ذلك، يترأسون لجان التحكيم، ويحضرون دائماً في مهرجانات، أجّجت كورونا برامجها، وجعلت رؤساءها يُسرّعون تنظيم مهرجانٍ في وقته المحدّد، كي تستفيد الجهة المُنظّمة من الدعم المالي، الممنوح لها قانونياً.

الغريب في الأمر، أنّه بمُجرّد انتهاء المهرجان، لا يُسمَع شيءٌ عن مديره وإدارته وطاقمه، إلا بعد مرور سنة، مع تقديم طلب دعم جديد إلى «المركز السينمائي المغربي» (1944)، تحضيراً للدورة الجديدة، من دون رقابة إدارية من المركز، ولا مراجعة سينمائية من الصحافة والنقد، فتُمنح عشرات ملايين الدراهم المغربية لمهرجاناتٍ نُظّمت افتراضياً، وفي بيوت مُعتمة وقاعاتٍ مُغلقة. إذا كانت السينما العالمية فنّاً شعبياً، فإنّها تغدو في المغرب مُجرّد حظوة اجتماعية، يستفيد من خيراتها مُقرّبون من الجهة المُنظّمة للمهرجانات. أكثر من ذلك، لا يُدعى سينمائيون مُخضرمون، فالدعوات محكومة بمنطلقات سياسية، أكثر من كونها سينمائية ونقدية ومعرفية.

لكنْ، ما الذي يجعل جهة أو جمعية تُفكّران في تنظيم مهرجان فني؟

الجديد السينمائي المغربي غير موجود حالياً. الممنوح من العام الماضي لمشاريع عدّة، لم يكتمل تصويرها. هناك تحايل على الدعم، وهناك عدم اكتمال الشطر الثاني منه، أمام تراكم الديون المتعلّقة بتكاليف مُعدّات التصوير ومستحقّات ممثلين وعاملين في الكتابة والصناعة.

> السينما في المغرب حظوة اجتماعية لا فن شعبي وثقافي

نيّة التنظيم سيئة، والأفق السينمائيّ مُجرّد خراب مُتدثّر بتاريخ نوستالجي، لم يعُد سوى تكرار مملّ لتراكمات مهنةٍ، تعيش انهياراً أخلاقياً وروحياً. السينمائي الجادّ غير مدعوم، فيصرخ، لكنْ لا أحد يلتفت إليه، حتّى لو انتحر. يضطرّ إلى موافقة لجنة الدعم على حذف مَشاهد سياسية أو جنسية، وعلى تغيير خطّ الفيلم وتهدئة خطابه الناقد أو الساخر من اجتماع ونفوس وعقليات وسُلطات. بعض آخر (قلائل) لا يتنازل عن مسار حكايته، ومدى تشابكها وتلاقيها مع أنظمة قاهرة، وسلطات قمعيّة، ومُعتقدات بائدة ومُتجذّرة في الاجتماع المغربي، وهذا البعض مرفوض عادةً من الجميع.

هكذا يضطرّ المُخرج إلى الهجرة إلى فرنسا أو بلجيكا أو أميركا، بحثاً عن جهات ومُؤسّسات لها إمكانيّة الدعم. والمُثير للدهشة أنّ غالبية هذه الأفلام المُنجزة بدعم خارجيّ تحصل على جوائز مُهمّة، لأنّها غير مُقيّدة بحدود اجتماعية أو سياسية أو دينية، فيكون الاشتغال السينمائي الهاجس الأساسي في إنجاز الفيلم. وبما أنّ معظم المهرجانات السينمائية لا تقبل عرض فيلم خارج عن تقاليد العائلة، تتهافت على الأفلام الفائزة، وإنْ كانت مُرتبكة أحياناً، لأنّ الجائزة الغربية دافعٌ إلى عرض الفيلم مغربيّاً، ما يجعلها خاضعة لسُلطة الغرب، ونظرته إلى السينما ومُتخيّلها في المَغرب.

المُحزن في سيرة العشق السينمائيّ في المغرب أنّه، رغم ويلات وتخبّطات ومآزق وتصدّعات ألّمت بالبلد بسبب كورونا، لم يتغيّر شيء: العقلية نفسها لا تزال تحكم البلد، ونظامه وناسه ومؤسّساته ومثقّفيه.

أثار البلاغ، الذي نشره «المركز السينمائي المغربي» أخيراً عن حصيلة دعم الأفلام السينمائية، نقاشاً جادّاً بين النقّاد، وسخطاً كبيراً بين المُخرجين، وفرحة عارمة بين مُنظّمي المهرجانات، إذْ كشفت (الحصيلة) عن سوء تدبير الشأن السينمائي، والبؤس الذي يُخيّم على يوميّاته ومساره في إنتاج فعل حداثي، يُخرج المُجتمع من جموده وتكلّسه، ويجعله في قلب الحياة السينمائية المعاصرة، بما تشهده من تغيّرات وتحوّلات، تأليفاً وصناعة.

لا شيء تغيّر. المشروع القاتم نفسه، والرؤية نفسها القائمة على ثقافة التهريج والتنميط والترفيه، التي طبعتها مهرجانات مركزية في دوراتها المُنصرمة، بتقديم رؤسائها برامجهم في مقر المركز، برئاسة إدريس اليزمي، وأمام لجنة مؤلّفة من ياسمينة ناجي والسعدية العطّاوي وسابرينا كاميلي وعلي بنزكري والغال أكريمش وعبد الحق أفندي وحسن المتقي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تيلدا سوينتن في افتتاح مهرجان مراكش 2019: طغيان الأجنبيّ (دومينيك شاريّو/ Getty)

مهرجان كارلوفي فاري الدولي

العائلة الأوروبية ومشاكلها في أفلام سجالية

كارلوفي فاري ـ **أمل الجمل**

مشاكل العائلات، ومنها ما يحصل بين الأبناء والآباء والأمهات، والعلاقات المرتبكة والمتوتّرة بينهم، أو تلك التي تبدو ظاهرياً كأنّها خالية من العواطف، تُعدّ أحد أهم المواضيع التي تُناقشها أفلام كثيرة، في الدورة الـ55 (20 . 28 أغسطس/ آب 2021) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي». كأنّ مآسي العامين الماضيين، وأبرزها فقدان عائلات كثيرة أحباء لها بسبب كورونا، أوجدت لدى مُعاصري الوباء شعوراً بالخوف، ومزيداً من الوحدة، جعلت البعض يُدرك أنّ العائلة صمّام الأمان الأول والأخير، وأنّها تؤدّي دوراً حيوياً . سلباً وإيجاباً . في مجتمع اليوم، بالقيم التي تُمثّلها.

يتّضح هذا في «طائر الأطلس» لأولمو أومرزو، و«أبنائي الأعزاء» لجْركوش ياروسوك، و«أرض الأبناء» لكلاوديو كوبيلّيني، و«الجذور البرية» لهايني كيش، و«مُطرّز» لبتروس تشارالامبُس، و«مرايا في الظلام» لشيمون هولي، و«برايتون الدور الرابع» لليفان كوغاشفيلي.

تناقش هذه الأفلام، متعددة الجنسيات (تشيكيا وإيطاليا وألمانيا وسلوفاكيا وفرنسا وليتوانيا والمجر وقبرص)، بشكل أو بآخر، قضايا العائلات وخلافاتها واختلافاتها، ومساندة أفرادها بعضهم بعضاً، أو تناحرهم لأسباب مادية. في «طائر الأطلس»، يتعرّض أومرزو الأب (مؤسّس شركة ضخمة ناجحة ومديرها) لمأزق صحي خطر، فتنكشف تحوّلات متفجّرة بين أفراد العائلة، خصوصاً بالنسبة إلى مَنْ سيتولّى الإدارة، وكيف ستوزّع المسؤوليات. يُفتّت المخرج الأسرة، بخلق مواجهة مع واقع جديد لم يكن أحد مستعدًا له، ويربط بين العلاقات الأسرية المعّقدة وعالم تقنيات الاتصال الحديثة، التي تسعى إلى الاستفادة من نقاط ضعف الإنسان. يحاول الأب عدم التخلّي عن مسؤوليته الإدارية، رغم أنّه صار غير مرغوب فيه. أولاده والمحيطون به لا يسهّلون المهمّة عليه. تدريجياً، تتكشّف جوانب أخرى للحرب النفسية، بأبعادها الاقتصادية والسياسية، فيُسرق 40 مليون دولار أميركي، بهوية مزيّفة لشخصية جندي في أفغانستان. مع ذلك، ليس واضحاً تماماً مَنْ يقف ضد مَنْ، ولا مَنْ منهم سيخرج منتصرًا. بأسلوب شاعري، يؤكّد السيناريو الشعور بالاغتراب في الأسرة الواحدة.

أما «مُطرّز»، فيدور حول شخصية خارا، الشابّة التي تعاني شعوراً غريباً بالذنب، وعلاقتها متوترة دائماً مع والدها وزوجها وابنتها. غير راضية عن دورها كأمّ. تشعر أنّها مُقصّرة، بل ترى نفسها والدة فاشلة، إلى أنْ ترتبط بصداقة مع فتاة مراهقة، ابنة مديرها في العمل. تتورّط في العالم الفوضوي للمُراهقة، فترى فيها نفسها، كأنّها تنظر في مرآة. عندها فقط، يُكشَف أنّ علاقتها بأمها، المتوفاة قبل فترة، لم تكن ناجحة، فخارا غير راضية عنّ أمّها، لذلك انفصلت عنها وكوّنت عائلتها الخاصة. لكنّها ظلّت تحمل في ذاتها الهواجس القديمة، بأنّها أم سيئة بنظر ابنتها. لكنّ النهاية سعيدة: تتصالح خارا مع نفسها.

العائلات ليست دائماً خيطاً رئيسياً في هذه الأفلام. أحياناً، تُذكر بشكلٍ هامشي، قبل الاكتشاف سريعاً قوّة الأثر المترسّب في الأعماق، رغم الهامشية، فالعلاقات المرتبكة بين أبناء وآباء تُشكّل عبئاً نفسياً كبيراً على الشخصيات، رغم نجاحها المهني، كما في «مرايا في الظلام»، المؤلّف على شكل حوار صريح وجريء جداً بين ماري، الفتاة الثلاثينية، وخطيبها الذي لا يظهر أبداً، إذْ يجلس خلف الكاميرا أو خارج الكادر.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

كلاوديو كوبيلّيني (ارض الأبناء): مزيج رموز وواقعية (إرنستو روشّو/ Getty)

> خلافات واختلافات ومساندة وتناحر لأسباب مادية بحتة

أفلام جديدة

■ Red Dot لآلن داربورغ، تمثيل نانّا بلوندل (الصورة) ويوهانس كونْكي: زوجان يواجهان أكثر من مأزق في وقتٍ واحد. معرفتهما بقرب إنجاب الزوجة طفلاً لهما يُهدّد زواجهما، إذْ يطرح عليهما أسئلة العائلة والعلاقة والتربية والمسؤوليات. يُقرّران إجازة في منطقة جبلية جليدية، لكنّهما يجدان نفسيهما فجأة في مطاردة غير مفهومة من قتلة مأجورين وغير رحومين.

■ The Voyeurs لمايكل موهان، تمثيل سيدني سوبيناي (الصورة) وجاستس سميث وبن هاردي: بعد وقت قليل على إقامتهما معاً في شقّةٍ واحدة، يتعرّف عاشقان على ثنائيّ آخر يُقيم في الشقة المجاورة. تتوطّد العلاقة بين الجميع، إلى درجة حميمة، تبلغ مرحلة الهوس بهما. شيئاً فشيئاً، تبدأ أسرارٌ كثيرة في حياة الثنائي الثاني تنكشف، مُحدثةً مفاجآت وصَدْمات ومخاوف، ومؤدّية إلى تجارب ومخاطر.

■ The Witcher: Nightmare Of The Wolf لكوانغ تو هان، تمثيل لارا بولْفر (الصورة) وتيو جايمس وغراهام ماك تافيش: قبل أعوام عدّة على ولادة غيرالت (في مسلسل بالعنوان نفسه)، يتمكّن من سيُصبح معلّمه، المدعو فيسَمِر (الساحر الشاب المتهوّر) من التخلّص من الفقر، بقتل الوحوش مقابل مبالغ مالية كبيرة. لكن، عندما يبدأ مخلوق غريب في ترويع مملكة ممزّقة سياسياً، يجد فيسَمِر نفسه في مغامرة مُرعبة، تُجبره على مواجهة شياطين ماضيه.

■ Jolt لتانيا ويكسلر (الصورة)، تمثيل كايت بيكنسال وجاي كورتني: بسبب اضطراب عصبي نادر، تعاني ليندْي نبضات قاتلة لا يمكن إيقافها إلاّ بواسطة جهاز قطب كهربائي. رغم عدم قدرتها على العثور على حبٍّ حقيقي، تلتقي رجلاً يُقتل بعد لقائهما بوقتٍ قليل، فيتحطّم قلبها، وتُقرّر بدء مطاردة قاتله، في رحلة مليئة بالمخاطر والانتقام والعنف، بينما يلاحقها رجال الشرطة الذين يتهمونها هي بارتكاب جريمة القتل.

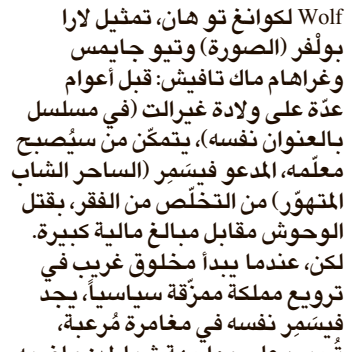

■ Bartkowiak لدانيال ماركوفيتش، تمثيل دانوتا سْتِنْكا (الصورة) ويوزِف بافلوفسكي: بعد وقوع حادث مأساوي خطر، يتمكّن مُقاتل شاب وخبير في «الفنون القتالية المختلطة (MMA)» من الاستيلاء على ملهى ليليّ، يُديره بحنكةٍ وبراعة. تدريجياً، يكتشف أنّ «وفاة» شقيقه في «حادث سير» ناتجُة عن عملية تصفية مافياوية لحساب كارتل عقاري يُريد بناء أبراج عالية على أنقاض مباني المنطقة حيث الملهى الذي كان لشقيقه.